كلية التربية
جامعة ميسان

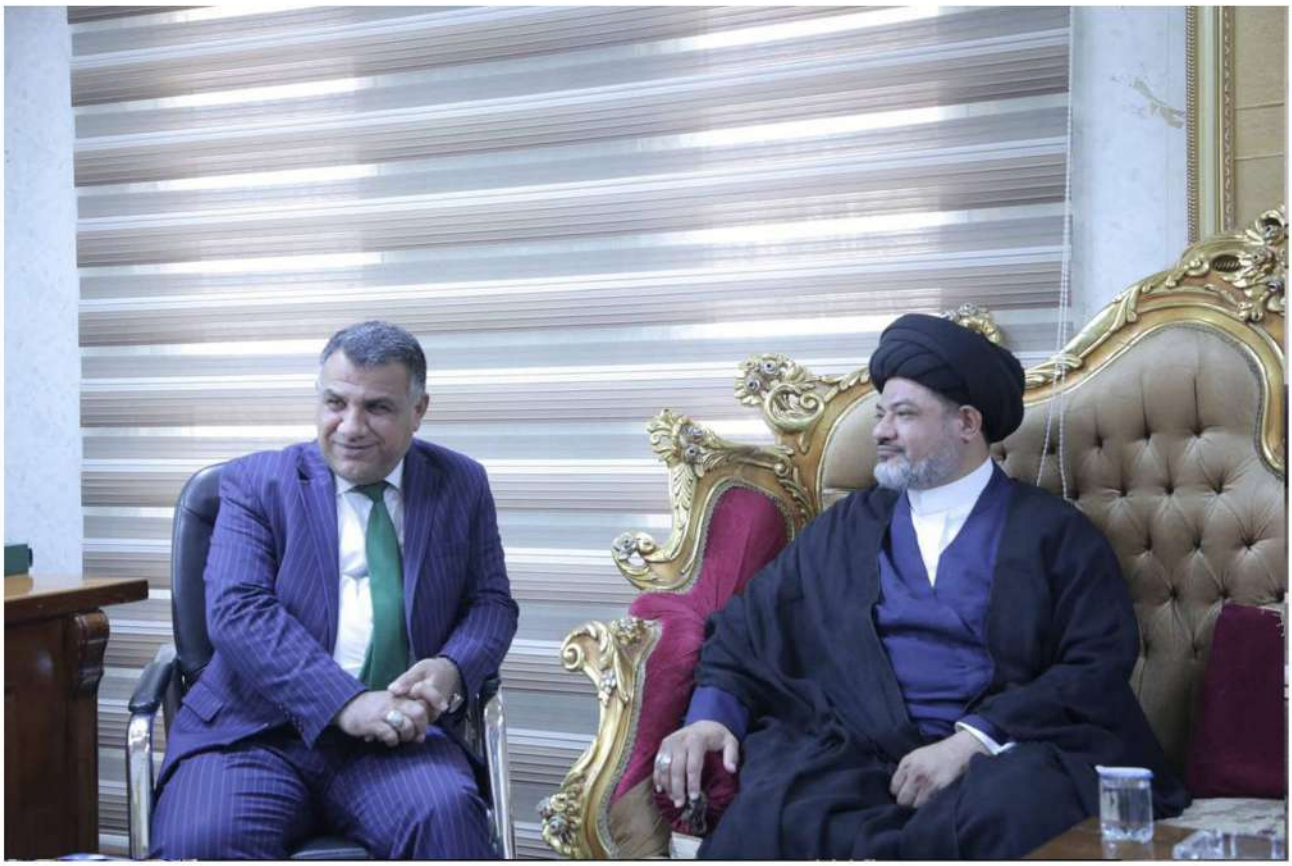

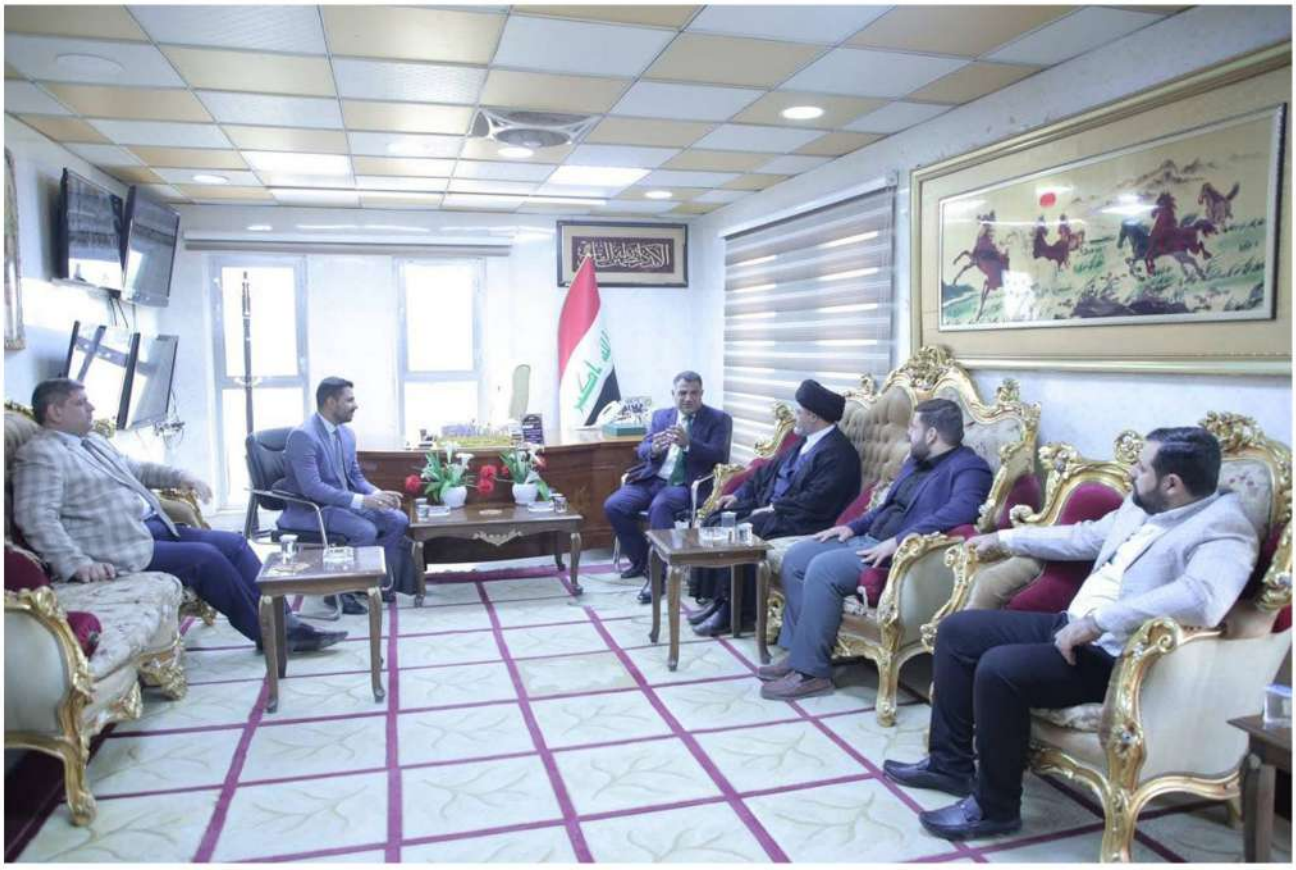

أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَمَّنْ سَمِعَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ قَالَ: (فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- (وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) لَمْ يَعْنُوا أَنَّهُ هَكَذَا وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا قَدْ فَرَغَ مِنَ الْأَمْرِ فَلَا يَزِيدُ وَ لَا يَنْقُصُ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ تَكْذِيباً لِقَوْلِهِمْ- (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ) أَ لَمْ تَسْمَعِ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ- (يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ) أراد اليهود بقولهم« يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ»انه تعالى خلق الخلق و قضى قضاء حتما لا راد له و لا بداء فيه و فرغ من الامر و استراح من التدبير و لا يتصرف بعد في العالم شيئا فرد اللّه تعالى عليهم بقوله:« بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ»يريد أن كل شيء في كل شأن من شئونه تحت قدرته و تدبيره و تصرفه و له القدرة المطلقة و السلطنة العامّة على ما سواه يتصرف في العالم بما يشاء كيف يشاء.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَقَالَ: (تَنَزَّلُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ وَ الْكَتَبَةُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَكْتُبُونَ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي أَمْرِ السَّنَةِ وَ مَا يُصِيبُ الْعِبَادَ فِيهَا. قَالَ: وَ أَمْرٍ مَوْقُوفٍ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ الْمَشِيئَةُ، يُقَدِّمُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ، وَ يُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ، وَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ»).

الاية الثالثة: (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ) الروم : ٤

تؤكد هذه الاية الى حقيقة مهمة وهي أن كل الامور بيده تعالى محيط بها ومهيمن عليها يقدم ما يشاء ويؤخر مايشاء ويزيد وينقص ويغير ويبدل.

أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ(لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ) يَعْنِي إِلَيْهِ الْمَشِيئَةُ فِي الْقَوْلِ أَنْ يُؤَخِّرَ مَا قَدَّمَ وَ يُقَدِّمَ مَا أَخَّر

قال الامام الحسين ع لِلْفَرَزْدَقِ:((لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ)، وَ كُلَّ سَاعَةٍ رَبُّنَا فِي شَأْنٍ، إِنْ نَزَلَ الْقَضَاءُ بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نَعْمَائِهِ، وَ هُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، وَ إِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرَّجَاءِ فَلَمْ يَتَعَدَّ مَنِ الْحَقُّ نِيَّتُهُ، وَ التَّقْوَى سَرِيرَتُهُ)[٢]

المطلب الخامس: البَداء في القرآن الكريم

الاية الاولى: قوله تعالى (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) الرحمن : ٢٩

هذه الاية تثبت حقيقة أن الاكوان السبعة من مشيئة وَ إِرَادَةٍ وَ قَدَرٍ وَ قَضَاءٍ وَ إِذْنٍ وَ كِتَابٍ في حركة مستمرة بعدد لحظ العيون من التبديل والتغيير والتقديم والتاخير وَ الزيادة والنقصان قال الامام ع : (يحيي و يميت و يرزق و يزيد و ينقص) بشكل مستمر.

فهو كما قاله بعض أهل العلم (إنها شئون يبديها لا شئون يبتديها)، يبديها أي يظهرها. يبتديها أي أي لم تكن في علمه ثم كانت وهو المرفوض عقلا ونقلا ، وقال شئون مما يدل على تعدد المشيئة والارادة بما لا يحصيه الا هو.

الاية الثانية : (يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتاب) الرعد : ٣٩

وهذه الاية تثبت حقيقة مهمة وهي أن كل هذه الشؤونات مكتوبة في أم الكتاب يمحو الله منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء وكلها محصاة من قبل الله جل وعلا (وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتابا) النبأ : ٢٩

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ع قال : (سألته عن ليلة القدر فقال:ينزل فيها الملائكة و الكتبة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة و ما يصيب العباد، و أمر عنده موقوف له فيه المشية، فيقدم منه ما يشاء و يؤخر ما يشاء (و يمحو اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ)

عن زرارة عن أبي جعفر قال: كان علي بن الحسين ع يقول: (لو لا آية في كتاب الله لحدثتكم بما يكون إلى يوم القيامة، فقلت له: أية آية؟ قال:قول الله «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ»)

عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله ع : (في قوله: «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» قال: هل يثبت إلا ما لم يكن، و هل يمحو إلا ما كان).

عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر ع قال: (إن الله لم يدع شيئا كان أو يكون- إلا كتبه في كتاب- فهو موضوع بين يديه ينظر إليه، فما شاء منه قدم و ما شاء منه أخر، و ما شاء منه محا، و ما شاء منه كان، و ما لم يشأ لم يكن)

عن حمران قال سألت أبا عبد الله ع : («يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» فقال: يا حمران إنه إذا كان ليلة القدر ونزلت الملائكة الكتبة إلى السماء الدنيا- فيكتبون ما يقضى في تلك السنة من أمر، فإذا أراد الله أن يقدم شيئا أو يؤخره- أو ينقص منه أو يزيد- أمر الملك فمحا ما يشاء ثم أثبت الذي أراد، قال: فقلت له عند ذلك: فكل شيء يكون فهو عند الله في كتاب قال: نعم، قلت: فيكون كذا و كذا ثم كذا و كذا- حتى ينتهي إلى آخره- قال: نعم، قلت فأي شيء يكون بعده قال: سبحان الله، ثم يحدث الله أيضا ما شاء تبارك و تعالى)

المطلب الثالث: فوائد الايمان بالبَداء

١. البَداء يدعم الامر بين أمرين ويدحض جبر والتفويض.

٢. وهو رد على الجبرية كالمجوس ومن شابههم من المسلمين: حيث حجموا فعل الانسان بكونه مخلوق لله لا يمكن ان يغير من واقعه والله تعالى يقول (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد [صلة لرحمه زاد في عمره ، ومتى ما ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره ، ومتى ما ظهر من عبد إتيان الزنا نقص من رزقه وعمره ، ومتى ما ظهر له منه التعفف عن الزنا زاد في رزقه وعمره، ومتى ما صلح الناس واطاعوا الامام واتبعوه وشايعوه قرب وقت الظهور.

٣. هو رد على المفوضة كاليهود ومن شابههم من المسلمين؛ لأنهم قالوا: إن الله قد فرغ من الأمر، فقلنا: إن الله (كل يوم هو في شأن)، يحيي ويميت ويرزق ويقدم ويؤخر ويفعل ما يشاء.

٤. دفع الناس الى فضل الدعاء والصدقة وصلة الرحم والاعمال الصالحة وهي ترد القضاء .والدعاء بتعجيل الفرج.

٥. اثبات القيمومية و الهيمنة الإلهية على الخلق وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء.

المطلب الرابع : معنى البداء لغة واصطلاحا

البَداء لغة: الظهور بعد الخفاء

البَداء اصطلاحا: ظهور ما كان مخفيًا على الخلق من العلم الموقوف فيقدم منه ما يشاء ويؤخر مايشاء وهو معنى قوله تعالى : (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْن) الرحمن : ٢٩. وهو قريب من مبدأ الاحتمالية الرياضي وهو إمكان وقوع الاحداث في الخارج بعدة احتمالات تصل الى ما لانهاية من الاحتمالات وفق اختيار العبد من جهة والتقادير الهندسية الربانية من جهة أخرى فيحصل التقديم والتأخير والزيادة والنقصان والتبديل والتغيير. وكل ذلك تحت احاطة العلم الالهي.

قَال الامام الصادق ع : (مَا بَدَا لِلَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا كَانَ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ) وقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْدُ لَهُ مِنْ جَهْلٍ) كما في المخلوقين حيث تتبدل آراءهم عن جهل . وهذا ما شنع به العامة على الشيعة ولم يقل أحد من علماء الشيعة بهذه المقالة لا في قول ولا في كتاب.

ولكنهم لما إذ لم يفهموا معنى البَداء الالهي وأخذوه على المعنى اللغوي ، وقاسوه على العلم البشري ، وهو ظهور الشيء بعد الخفاء، المسبوق بالجهل ولكن البَداء عند الله غير مسبوق بجهل بل مسبوق بعلم مكنون عنده إذ لا تخفى على الله خافية.

المحاضرة (٣٠): البَداء

قبل الخوض في هذا الموضوع العظيم لابد من بيان بعض الحقائق المهمة عن أهل البيت حول البداء ولولاهم لم يفهم هذا العلم، وسنعرض الموضوع ضمن مطالب

المطلب الأول: فضل البَداء

عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَحَدِهِمَا ع قَالَ: (مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْبَدَاءِ) ، وعن الامام الصادق ع : (مَا عُظِّمَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ) وقال ع : (لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ مِنَ الْأَجْرِ مَا فَتَرُوا عَنِ الْكَلَامِ فِيهِ) وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ: (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ:الْإِقْرَارَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَ خَلْعَ الْأَنْدَادِ، وَ أَنَّ اللَّهَ يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ وَ يُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ)[1].

بيان: تبيين أن البَداء من العبادات العظيمة وانه من عهود الانبياء ، ولكن السؤال المهم كيف نعبد الله بالبداء؟

المطلب الثاني: حقيقة البَداء

لابد من معرفة مجال حركة البداء بين الاكوان السبعة

الحقيقة الأولى: أنه كل شيء يمر بسبع مراحل (عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ قَالَ: لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِهَذِهِ الْخِصَالِ السَّبْعِ: بِمَشِيئَةٍ وَ إِرَادَةٍ وَ قَدَرٍ وَ قَضَاءٍ وَ إِذْنٍ وَ كِتَابٍ وَ أَجَلٍ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْضِ وَاحِدَةٍ فَقَدْ كَفَرَ)[2].

الحقيقة الثانية: أن كل واحد من هذه الاكوان السبعة على نوعين وليس نوعا واحدا، فالعلم علمان، والمشيئة مشيئتان، والارادة ارادتان، فعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ: (الْعِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ عِنْدَ اللَّهِ مَخْزُونٌ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ، وَ عِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَ رُسُلَهُ فَمَا عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَ رُسُلَهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَا يُكَذِّبُ نَفْسَهُ وَ لَا مَلَائِكَتَهُ وَ لَا رُسُلَهُ، وَ عِلْمٌ عِنْدَهُ مَخْزُونٌ يُقَدِّمُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَ يُؤَخِّرُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ مَا يَشَاءُ.)وعَنْ أَبِي الْحَسَنِ ع قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ إِرَادَتَيْنِ وَ مَشِيئَتَيْنِ إِرَادَةَ حَتْمٍ وَ إِرَادَةَ عَزْمٍ).

الحقيقة الثالثة: أن البَداء يتحرك بين الأمور الموقوفة المخزونة عنده فيقدم منها مايشاء ويؤخر منها مايشاء

عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ: (مِنَ الْأُمُورِ أُمُورٌ مَوْقُوفَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يُقَدِّمُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَ يُؤَخِّرُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ).

فالبداء يتحرك عبر تعدد المشيئات والارادات فالمشيئة بعد المشيئة والارادة بعد الارادة وكلها مخزون في علمه المخزون .